

تجليات ثنائية المقدس والمدنس في منامات الوهراني

The manifestations of the duality of the sacred and the profane
in the dreams of al-wahrani

د، الوالي سعاد *

جامعة محمد البشير الإبراهيمي (الجزائر)

Souad.louali@univ-bba.dz

ملخص:	معلومات المقال
يشكل النص التراثي الجزائري القديم مرآة عاكسة لروح العصر وقيم المجتمع، ولاسيما فن المقامات التي أبدع فيها الوهراني، فكانت بذلك أحد أوجه الجمال الإبداعي في رصيد الإنسانية عبر من خلالها الكاتب عن الوضع المأزوم الذي كان يعيش فيه المجتمع إبان القرن الخامس الهجري. ولذلك سعيت من خلال هذا النتاج النثري الأدبي إلى تفتيت تشكلات البنية السردية لمنامات الوهراني بغية الوصول إلى تجلية صورة المقدس والمدنس؛ للوقوف على النسق الاجتماعي والثقافي ورصد المسكوت عنه.	تاريخ الإرسال: 2021/05/20 تاريخ القبول: 2022/02/13
	الكلمات المفتاحية: ✓ المقدس؛ ✓ المدنس؛ ✓ منامات الوهراني.
Abstract :	Article info
<i>Text is prose old Algerian mirror reflective of the spirit of the times and the values of society, especially the art of dreams that excelled where Wahrani was so one aspect of beauty creative in the balance of humanity through which the writer about the critical situation in which he lived community during the fifth century Islamic Therefore I sought through this product prose literary formations to break up the narrative structure Mnamat Wahrani in order to shed light on the image to access the sacred and the profane to determine the pattern of social, cultural and silent monitoring</i>	Received 20/05/2021 Accepted 13/02/2022
	Keywords: ✓ sacred, ✓ profane, ✓ dreamsAl-wahrani

مقدمة:

يعد النص السردي القديم من أكثر النصوص الأدبية استحضاراً للمعالم التاريخية والأنساق الفكرية حيث تقدم للقارئ وفق رسالة أدبية، وفي تشكيل فني يزخر بعناصر متباينة من بناء لغوي، وزمني، ومكاني، هدفها خلق متعة تخیيلية جمالية لمتلقيه. ونهدف من دراستنا لفن المنامات عند الوهراني إلى البحث عن العلاقة الجدلية بين النسق الداخلي والسياق الخارجي للنص السردى، ودوره في تجلية ثنائية المقدس والمدنس والبحث عن المرجعيات الخارجية التي تساعدنا في إعطاء دلالة ومعنى للنص السردى من جهة، ومن جهة أخرى تحليل الأنساق الداخلية التي تحمل دلالة فكرية مسكوت عنها يحاول النص بثها للمتلقى. فالمنام هو انفلات من رقابة الأنا الأعلى، وحتى يتفادى الكاتب هذا الحصار أدرج قضاياها الفكرية في شكل مغامرات داخل المنام، حتى ينفلت من هذه اللغة التعبيرية المباشرة التي قد تزج به في مخاطرات لا غنى عنها، فكأن المنامات تلامس واقعهم وما يعانونه من شظف العيش على ما مر بهم، هذه الملامسة التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى انتهاك محظورات سياسية وإيديولوجية تهدد سلطة الأنا الأعلى؛ وحتى تجابه ذات الكاتب هذا التصادم عليها بخلق ميكاريزما دفاعية تحول دون التعرض لقلمه فيجعل في ثوب من القداسة حتى "تتشاكل مع السياسة، فالممانعة تأتي من خارج العملية الإبداعية وانتزاع مساحات من الحرية له أثناء الكتابة"¹.

ولذلك لجأ الوهراني إلى المنام للهروب من الحصار المفروض عليه وعلى غيره من المبدعين حيث "تحصن بمناماته، ودخل عبر غرائبية أحداثها إلى عالم الخيال، وقال فيها ما لم يستطع أن يقوله بصريح العبارة عن مواقفه السياسية والفكرية والاجتماعية من أحداث عصره"².

فتواري الكاتب بالمنام في حقيقته هو تحصن بالخارق الذي يسمح له بالتجاوز العابر للحدود دون قيود تكبل من الحريات فهو بذلك مدعاة لوصف ما يمكن تناوله بشكل واقعي؛ لأن الخارق يسمح بتجاوز الحدود المغلقة واختراق المحرم الاجتماعي والرقابة الذاتية فيصبح وسيلة لخوض الصراع ضد الرقابة بمختلف أشكالها ذاتية واجتماعية.

وقبل الخوض في الحديث عن المضامين المشكلة للبنية السردية في منامات الوهراني علينا أن نعرف معنى المقدس والمدنس. من منطلق أنها مفاهيم تقف عند المسكوت عنه هذا الأخير الذي يفرز جملة المحظورات الأخلاقية الدينية السياسية أي الثالوث المحرم: الدين، السياسة، الجنس.

2. مفهوم المقدس والمدنس

1.2 المقدس:

يقصد بالمقدس "ما يحيل إلى الموجود المفارق المتعالي، أو العلي السامي الطاهر المبارك الذي يحظى بالاحترام والتبجيل بإطلاقه، ولا يجوز تدنيسه وهتكه والاعتداء عليه، وخرق حدوده وأحكامه، ويلحق به على سبيل التقديس نفسه تجليات في القول أو الفعل أو الاختيار"³.

وبذلك فإن المقدس "يشير إلى شيء يدركه البشر خلال مشوار حياتهم بما يخلق فيهم من آثار قوة ومظاهر خارقة"⁴. والقداسة بمثابة طهارة "واكتساب الطهارة يأتي نتيجة التقيد بمجموعة من ممارسات طقسية"⁵.

ومنه ارتبط المقدس بالطهارة والنقاء في الباطن، ويتشكل في كل مظهر جمالي عبر الأقوال والاختيارات، وانعكاسه على الظاهر من الممارسات.

ونركز هنا على المقدس في الثقافة العربية الإسلامية إذ "يتمظهر في بنية الطاهر الطيب على اعتبار أن الطاهر سيكون على صلة بالسمائي، والديني المقدس ممركة وممحورة حول مقولة الحلال فبدلالتها على الطاهرة أو القداسة تحيل على المقدس الطاهر"⁶.

كما أنه في الإيمان الإسلامي "يدخل في باب المقدس الموجود الأول الله السامي الجليل العلي المفارق، وجملة من الموجودات الوسطية الملائكة الأنبياء، وما ينقلون عن الموجود الأول من أقوال أو نصوص أو وحي، ويدخل في هذا أمكنة يجب احترامها وعدم خرق طهارتها ونقائها وقديسيها"⁷.

ومنه فالمقدس ارتبط بأركان الإيمان الباطنية التي تشكل عقيدته، التي بدورها ستكون لها حضور في حياته الاجتماعية وسلوكه اليومي.

2.2 المهندس

المقصود بالمهندس "غير المقدس أو الدنس أو النجس أو غير الطاهر وكل ما هو محايث أرضي دنيائي"⁸، وبذلك يتقابل المقدس والمهندس أو "الطاهر والنجس يبقيان حاملين شحنتين متعارضتين تخولان أحدهم أن يجذب والآخر أن ينبذ، وتجعلان الأول شريفاً يبعث على الاحترام والحب والتقدير، والثاني خسيساً يبعث النفور والاشمئزاز"⁹.

فالمهندس يتقابل مع المهندس ويعرف من خلال انتهاك المقدسات المتعارف عليها في الضمير الجمعي، حسب كل مجتمع.

3.2 ثنائية المقدس والمهندس ودورها في تجلية المسكوت عنه

لا يمكن أن نتكلم عن ثنائية المقدس والمهندس في المنامات دون إسنادها للأطر المتعلقة بالشخصيات والزمان، والمكان إذ يمثل هذا الأخير الخلفية التي تقع فيها الأحداث، وهو يتصل عادة بالوصف. والمكان لا يمكن توظيفه داخل النص بمعزل عن العناصر الأخرى المكونة للنص لوجود علاقة وطيدة بين بنية الزمن والشخصية، فلا يمكن فصل عنصر عن الآخر فهي عناصر مكملة لبعضها البعض "فبمجرد الإشارة إلى المكان كافية أن تجعلنا ننتظر قيام حدث ما وذلك لأنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث"¹⁰.

السارد في منامه تكلم عن طبيعة المكان المتواجد فيه قائلاً: "ثم غلبته عينه بعد ذلك فرأى فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، وكان المنادي ينادي هلموا إلى العرض على الله تعالى. فخرجت من قبري أيمن الداعي إلى أن بلغت أرض المحشر"¹¹، اختيار أرض المحشر كمكان للسرد، هو اختيار إشكالي يجبر على التعامل مع هذا المكان المقدس من حيث هو نسق ديني، وبذلك فإن هذا الاختيار المقصود لأرض المحشر يوحي منذ البداية بأن النسق المسيطر سيبدأ بفرض قواعد السرد؛ لأن أرض المحشر موعلة في علاقتها بالنسق المقدس عبر مسيرة تاريخية طويلة يتحول قوة ضاغطة لا تتيح لخيال السارد أن يمارس حريته، لأن الخيارات التي يتيحها للخيال هي خيارات محدودة.

والمتتبع للفضاء المكاني لمنامات الوهراني، يجد أنه فضاء للتعرية وإظهار فساد الأخلاق أين تنتفي أخلاقيات المجتمع في العالم الدنيوي عن طريق العالم الأخروي المتعالي الذي سعت شخصياته إلى فضح هذا الواقع المهندس وتعريته عن طريق استرجاع أعمال الشخصيات في العالم الدنيوي.

3. المقدس الديني بين الواقع الاجتماعي والسلطوي

إن السارد في المنامة عن طريق إدراج العالم الأخروي من أجل ورود الحوض يسعى إلى تعرية صورة المجتمع المقموع في دنيا الواقع، إذ من خلال السرد استطاع أن يصف الحالة المنتهكة للمجتمعات العربية، حيث رصد صورة المرأة في شخص الجارية إثر حوار جرى بين عبد الواحد بن بدر، والخادم الذي يمثل الشخصية الساردة، وفي الآن نفسه الشخصية المدانة في هذا الموقف، فتتم المحاور التالية: "وقال لي: الساعة رأيت عدة جوار يطلبونك مع بعض أولادهم يزعمون أنهم منك وأنت تنفهم عنك، وبعضهم يدعي أنك بعتهم لغيرك، وهم حبالى منك فقلت له: هون عليك يا شيخ ولا يكن عندك أخس منهم. فقد باعت الأسباط قبلي يوسف وهم هم"¹²؛ إن الحوار الذي دار بين عبد الواحد والخادم السارد يكشف النقاب عن انتهاك حقوق المرأة، والإجحاف الذي لحق بها، وتدني شرفها الذي يعتبر رمز القداسة والطهر في المجتمع العربي المسلم.

فالمرأة في المجتمع الإسلامي دائما محاطة بأسوار الحصانة، والعفاف فشرافها مقدس لذا دائما كان البيت هو مأمها وملاذها بعيدا عن الأنظار التي قد تنزع منها ثوب العفاف، وبذلك فالأشياء المقدسة " تتحدد دوما في نطاقات محمية أو في أماكن مغلقة مسورة محصنة لتكون الأنثى حصانا أو ذات حصانة"¹³.

وبالرغم من أن الوهراني يشير إلى المرأة المدنسة إلا أن التعريض بها لا يمسه مباشرة، إنما يتجه صوب الرجل. فانحراف النساء يعني مصيبة هذا المجتمع في رجاله الذين أخلوا بالقوامة التي تسير المجتمع بأسره، وتنكروا للمرأة. وهذا يتضح جليا في تنكر الخادم لأولاده وبيع الجواري وهن حبالى منه.

فالمتلقي للمنامة يظن أن المرأة هي المستهدفة من وراء تركيز الوهراني عليها، ويكون هذا صحيح إن كانت المرأة تحمل في مجتمع ما تلك القوامة، لكن هذا الاختراق إنما يلصق فيه التهمة مباشرة بمن يملك زمام المرأة والقائم عليها.

ولم يتوقف الوهراني عند وصف حالة المرأة في المجتمع العربي، بل تعرض أيضا لقضية انتهاك حقوق الطفل، وقتل البراءة عن طريق اغتصابهم، وذلك تجلى في المنامة في حوار داخلي أقامه السارد إثر افتضاح أمره بفعل الجواري أمام عبد الواحد بن بدر إذ يقول: "ووجمت من كلامه ساعة وقلت: لو أني مثل الحافظ العليبي الذي لا يقتني إلا الغلمان الذكور كلما التى واحد باعه، وأخذ آخر ما حلت بي هذه المصيبة"¹⁴؛ فاقتناء الغلمان وممارسة الأفعال الشاذة معهم ينبو عن القيم الإنسانية، ويندرج في الممارسات الهيمنية فهو يعد فعل مدنس لا يمت بصلة للجانب الخلقي الديني لاسيما وأن "الدين بكل أشكال وجوده الروحية، والثقافية، والمؤسسية، وبكل مستويات هذا الوجود فاعلا مهما في الحياة العامة للمجتمعات الإنسانية كافة، وفي تقرير الحياة داخل هذه المجتمعات بشكل عام، وفي وضع أنساق القيم الضابطة والموجهة بشكل عام"¹⁵.

فالدين هو الوجه والضابط لقيم المجتمع، وممارسة الأفعال المدنسة كاللواط هو خروج عن النص المقدس، والتشبه بأفعال قوم لوط عليه السلام الذي قال فيهم الحق سبحانه وتعالى: "إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين على رب العالمين أتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملكم لمن القالين ربي نجني وأهلي مما يعملون فنجيناها وأهلها أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم أمطرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين"¹⁶.

من خلال الآية نستشف حرص القرآن على تقديس جسد الإنسان، والسعي للحفاظ على إنسانيته المقدسة. لذلك يتوجب على المرء أن يسعى وفق تعاليمه السمحاء "وبذلك يغدو المفهوم الصحيح للدين الذي استعمله القرآن نظام الحياة الذي يدعن فيه المرء لسلطة عليا ثم يقبل إطاعته وإتباعه ويتقيد في حياته بحدوده، وقواعده، وقوانينه ويرجو في طاعته العز والفوز بالدرجات العليا وحسن الجزاء، ويخشى من عصيانه الذل وسوء الجزاء"¹⁷.

وتتواصل المحطات التي يقف أمامها الوهراني في مناماته، وهذه المرة يتوقف أمام رمز ديني مقدس يتمثل في شخصية مالك خازن النار، وجلب مثل هذا الرمز المقدس ليس من قبيل الصدفة، بل كان استخداما عن وعي مشحون في الذاكرة الجمعية الدينية للمجتمعات المسلمة، بأبعاد هذا الرمز المقدس الذي ينتمي إلى العالم الأخروي. والذي يعد أحد الرموز المقدسة التي لا نستغرب حضورها في المنامة التي يتحدث فيها كاتبها عن أهوال القيامة، وما يتبعه من حساب وعقاب وجنة ونار ورغبة في الورد على الحوض والشرب منه.

ويعد بحق جلب هذا الرمز الديني المتمثل في شخصية مالك خازن النار، آلية ناجعة في تعرية المسكوت عنه، وهذه المرة يتجاوز فيها الوهراني الشخصيات الاجتماعية العادية ليلج في عمق رموز المقدس الاجتماعي وهي الشخصيات الدينية كحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف التي لا تحمل من حقيقتها الدينية المقدسة إلا الاسم الظاهر، وهذا ما يتجسد في منام الوهراني في مشهد سردي يقف فيه السارد على الوصف البراني لشخصياته إذ يقول السارد: "أما ترى مالك خازن جهنم، وقد خرج من

النار مبجل العيين في يده مصطليجة، وفي يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن وهو يدور في الموقف على اللاطة، والقوادين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ونحن متهمون بهذه الخلال الميشومة"¹⁸.

من خلال هذا الوصف البراني لشخصية مالك خازن النار، والتي لا نعتبرها تجاوزا للدين بقدر ما هي رسم لهول الموقف، وشحن له حتى تتناسب صورته المخيفة مع الحركة الفعلية السردية المتمثلة في إنزال العقاب على الخارجين عن الأطر المقدسة، وكشف السارد أن هذه الشخصيات المقدسة عند المجتمع المسلم متهمة بهذه الأوصاف الذميمة يضع هذه الشخصيات الدينية في قفص الإدانة الجمعية، كما يضع المجتمع على شفا جرف هاري من الفتن الداخلية، ويتواصل السرد في منام الوهراني ليكشف لنا عن أفعال هذه الشخصيات الدينية من خلال المحاورة التي دارت بين مالك خازن النار، والحافظ العليبي، والخادم السارد "فبينما نحن في المحاورة و إذا بمالك خازن النار قد هجم علينا، وقبض على أيدينا ورمى السلسلة في أرقابنا وسحبنا إلى النار، فارتعنا. فتقول: يا سيدي هذا رجل مغربي من أهل القرآن وأنا رجل محدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبأي جرم تأخذ قبل وقوف الرب سبحانه على حسابنا فلعله يتجاوز عنا؟ فيقول لك: يا خبيث أنت كنت من المتفنيين في اللياطة، ومن المتبظرمين، فقلت له: أنا كيف ذلك يا سيدي؟ فقال لي: هذا كان يفسق بأولاد المسلمين، وقال لك: كنت أولاد المسلمين وتثبت أسماءهم في جريدة عندك على حروف المعجم حتى لم يبق عليك منها إلا القليل وأتى عليك أجلك وأنت مجتهد في تعليق الحروف يا ديوث أليس أنت الذي أدخلت فلانا الأمد إلى الخرابة المظلمة، ونيمته تحت ضوء الروزنة، فلما لم يطابق الضوء حجره قلت له بتحنين وتلطيف: يا سيدي قرها إلي بفضلك. يا خنزير: وأي فضل يكون لأمر منكوح يا مرجوس. وأما هذا المغربي فرجل قواد لاشك فيه. فاستشطت أنا عند ذلك غضبا وأظهرت القلق العظيم، وقلت له: أمثلي يقال هذا الحديث، والله لتندمن على هذا الكلام، فقال لي مالك: لعلك تريد أن تهجوني بشعر مثل ما رأيت في صحائفك اليوم أو تعمل في مقامة تدمني فيها كما تفعل مع بني آدم، والله لألطمك بالفلع حتى يبول القندلاني على ساقيه، هل تقدر أن تحلف أنك ما كنت تقود على رفيقك هذا في دار الفوارة فلما سمعنا ذلك خرشنا وأبلسنا وعلمنا أن الناقد بصير لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها"¹⁹.

إن السارد عن طريق حوار الشخصيات مع بعضها البعض كشف لنا الصورة المدنسة لبعض الشخصيات الدينية التي تجعل من الشعائر المقدسة شعارات جوفاء لتغطية أعمالها النجسة وهي المتاجرة بالدين، و"التستر وراءه لتحقيق أغراضهم الدينية وشهواتهم الحيوانية، واتخذوا الدين سلعة للمتاجرة، والمساومة وفرض النفوذ على الآخرين فكانوا أسوأ مثل لرجال الدين."²⁰، وبذلك فإن نمط شخصية حافظ القرآن وحافظ الحديث الشريف في منامات الوهراني يخالف نوعيا، وقيميا نمط حافظ القرآن وحافظ الحديث كما كان الناس يرونهما في الواقع الديني فتبدو الشخصيات بذلك متملقة تطبق الشرع في العالم الديني أمام المجتمع، وتنهك المحظور والمحرم شرعيا ودينيا في الخفاء، وهكذا لعبت شخصية مالك خازن النار دورا فاعلا في تعرية المعنى المستور وكشفه. وبذلك نستشف أن ما يعطي قيمة للمعنى ووزنا "هي المعاني الضمنية"²¹، فالبنية السردية في منامات الوهراني تضم أبعادا تقوم على تورية ثقافية واجتماعية تخفي المغزى عن أعين الرقيب النسقي الديني، وحتى السياسي حيث تفضح رموز هذا النسق، وتعتمد في ذلك على كشف لعبة الصراع بين الأنساق السياسية والدينية ورموزها.

وبذلك نستنتج أن الوهراني يسعى من خلال توظيف الشخصيات الدينية في مناماته كشخصية الحافظ للقرآن، وشخصية المحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل عن نقد أعمالهما المدنسة في العالم الديني، مما جعل العقاب في المنام يكون وخيما من قبل مالك خازن النار الذي أعد لهما المصطليجة، والسلسلة التي وعد بها الله سبحانه وتعالى عباده الآثمين مصداقا لقوله تعالى: "ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه"²². وقوله عز وجل: "إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون"²³. و وظيفة السلاسل هنا هي إلحاق العقاب للخارجين عن المقدس من أهل العالم الديني.

ويتواصل البناء السرد في المنامة، ليكشف السارد عن الدنس الذي لحق الطبقة الكادحة في المجتمع، وهي طبقة الفلاحين، إثر حوار دار بين جحا، وأمير المؤمنين حول المعن بن حسن "فيقول له جحا: والله يا أمير المؤمنين لتسمعن في صحيفة

أعماله من الفضائح ما لم تسمع بمثليها سواء وأقل ما فيها أنه أخذ طفلاً من أبناء الفلاحين اسمه يوسف بن بونيات فسق به حتى التحى ونشأ له أخ اسمه علافة ففسق به حتى التحى، ونشأ له أخ آخر اسمه إسماعيل ففسق به حتى التحى، وفرغ من الصبيان فعمد إلى أختهم فعمد عليها عقداً مفسوداً وفسق بها حتى ملها، وعبرت أمها يوماً فكشفت الريح عن ساقها فمسكها وغصبها على نفسها فلم يسلم منه من أهل البيت إلا شيخهم الكبير بمصيره إلى التراب فتكر أمير المؤمنين من سماع هذا الحديث، وثقل عليه حتى ظهر ذلك في وجهه²⁴.

البنية السردية في هذا المشهد الحوارى بين الشخصيات، كشفت النقاب عن غياب الوازع الدينى في أوساط المجتمع الذى نقلت المنامة تصدعه الداخلى المأزوم فكان بؤرة لارتكاب فاحشة اللواط في حق أطفال من أسرة واحدة، من طبقة الفلاحين إذ أورد السارد أسمائهم: يوسف، علافة، إسماعيل، بالرغم من أن اللواط فعل مدنس من الناحية الشرعية إلا أن المعن بن حسن، والذي لم يفصح عنه الراوى شيئاً، إلا أنه يبقى رمز السلطة السياسية التى تنشر معاول الاضطهاد، والتنكيل بأبناء المسلمين، إذ لم يتوان المعن عن فعله المخل بالحياء مع أسرة واحدة بالرغم من أن اللواط "شذوذ بالغ عن الفطرة يمجّه الذوق السليم، وتأباه الرجولة والكرامة، إنه انحراف هائل ومريع عن قوانين الطبيعة ونواميسها"²⁵.

ولم تتوان شخصية المعن بن حسن عن ارتكاب جريمة اللواط، بل إنها تعدت ذلك إلى الزنا بالأخت والأم، وهذا يعد اختراقاً لكل المقدسات، والشرائع السماوية إنه "انحراف التربية وانعدام الحس الدينى، وفساد الأخلاق من شأنها جميعاً أن تئى الأجواء والمناخات المناسبة للانحراف والشذوذ"²⁶.

من خلال ما سبق نستشف أن نقد الوهراني جاء نقداً غير مباشر للسلطة السياسية التى أهملت شؤون الرعية، وذلك عن طريق تجسيد المفارقات الدينية المتمثلة في شخص حافظ القرآن، وشخص المحدث وهما آلية الخطاب الدينى الذى تتولى السلطة حمايته حيث أراد بعض الحكام والطغاة المستبدين أن يركبوا موجة التدين وأن يستغلوا الدين لسلطتهم فامتطوا بعض ضعاف الإيمان من ذوي النفوس المريضة ممن يعرف رجال الدين ويحمل شعار الدين، ويلبس رداء فقربوهم إليهم، وفتحوا لهم أبواب السخاء والرفاه، ثم سخرورهم لمطامعهم وجعلوهم أبواق دعاية لهم²⁷، خاصة وأن هذه الرموز الدينية، خرجت عن حقيقة الدين الذى "يوجه النفس إلى ربها فتخشع لجلاله وترغب في ثوابه، وترهب من عقابه، وتخاف من بطشه وتبتعد بالتالى عن سبل الشر والفساد"²⁸. وهذا ما يشعربنا بغياب السلطة السياسية التى تكمن وظيفتها في "تحقيق تكامل جميع الأفراد في الجماعة"²⁹، بل يسعى هؤلاء المتسلطين إلى إبقاء الوضع كما هو عليه دون العمل على تغييره قيد أنملة لأنهم "يخافون تغيير هذه الأوضاع القائمة لئلا يحرموا مزاياهم الغاشمة وامتيازاتهم المجحفة"³⁰.

ويتواصل المنام مع الوهراني، وتتعاوض معه البنية السردية في مواصلة نقدها للواقع المتردي، وذلك كله عن طريق تقنية الاسترجاع لأعمال بعض شخصياتها في العالم الدنيوى ومن بين هؤلاء: المتصوفة، إذ وصفهم لنا في مشهد حوارى جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعض الناس في سؤاله عن ماهية هؤلاء وعن عملهم "فقال صلى الله عليه وسلم: من هؤلاء فقل قوم من أمتك غلب العجز والكسل عن طباعهم فتركوا المعاش وانقطعوا إلى المساجد يأكلون وينامون، فقال: فبماذا ينفعون الأمة ويعينون بني آدم، فقل له: ولا بشيء البتة، ولا كانوا إلا كشجر الخروج في البستان يشرب الماء، ويضيق المكان فساق ولم يلتفت إليهم"³¹.

إن اكتفاء المتصوفة بالأكل والنوم في المساجد، يخرجهم عن الفاعلية إلى مجرد أشخاص متطفلين على المجتمع، يعد بحق انفصال بين الفكر والعمل "على أن هذا الانفصال بين الفكر والعمل، ليس هو السبب الوحيد في جمود الفكر الإسلامى"³²، بل إن هناك مسببات أخرى أدت إلى ذلك التدهور الحاصل في المجتمع، ويبقى تعطيل الفكر وعدم العمل لدى فئة المتصوف شيئاً سلبياً يتنافى مع قيم الدين الإسلامى الذى يجعل من العمل عبادة إذ يعد قيمة مقدسة، وهذه السلبية في فئة المتصوفة ألحق

بشخصهم معالم الدنس؛ وبذلك أضى التصوف طقوس شكلية يعكف عليها أصحابها، ولم يعد علما مقدسا يستبطن "لحاجة مجتمع يريد معرفة نفسه ليحدث تغييرها وليبيئة نبحت عنها لتغيرها، فهو علم قابع منطو على نفسه في صوره وأشياءه"³³.

وليس شخص المتصوفة فحسب الذي عطل قيمة خلقية مقدسة كقيمة العمل بل إن طبقة الأطباء كذلك لم يعد لها الدور الفاعل المنوط بها في المجتمع ونستشف ذلك من خلال حوار السارد مع أبو المجد بن الحكم سائلا إياه عن علاقة المحبة التي تربط الملك عزرائيل عليه السلام، وابن النقاش في مشهد سردي يتم بالدلالات إذ يقول السارد: "من أين هذه المعرفة بين المذهب ابن النقاش، وبين عزرائيل. فقال لي أبو المجد بن الحكم: من جهة الطب، أما علمت أن المذهب كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا، ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه في الحال وأراح ملك الموت من التردد إليه، وشم الروائح المنتنة، والنظر إلى شخصه المرعج وخلصه من الانتظار الطويل، فهو يرعاه لأجل هذا ويحبه من ذلك الزمان"³⁴.

في هذا المشهد الحواري لا نلج في تفاصيل وصف شخصية الملك عزرائيل عليه السلام، وإن كان السارد خرج عن حدود اللياقة في التعامل مع هذه الرموز المقدسة كونه نسب لهذا الملك صفات التعطيل، والعجز، وطلب العون من الآخرين، وهذه تعد جرأة على المقدس الديني، لكن يجب أن نتعامل مع هذا الموقف على أنه مشبع بالرموز والدلالات التي تحيل على تحالف السلطة السياسية في الواقع الدنيوي مع هذا النوع من الفئات الاجتماعية، وعقد هذه المشابهة بين المشهد الحواري في المنامة وبين ما يقع في العالم الدنيوي، ليس من سبيل التقول العشوائي كون الوصف السردى لشخصية الملك عزرائيل عليه السلام يجعلنا نلتصق حقائق هذه الشخصية التي صورها المشهد على أنها تحب المذهب بن النقاش كونه يساعدها في التخلص من جسد المريض بسرعة، ولا يتركها تشم روائح النتن، وبالمقابل فإن عزرائيل عليه السلام تجاوز عن بعض أخطاء ابن النقاش في العالم الأخروي. ليحيلنا هذا المشهد على رمزية السلطة السياسية القائمة على تبادل المصالح بينها، وبين من تستخدمهم في الواجهة، وتتستر وراءهم لتحقيق مطامحها الشخصية.

نتيجة لهذا الوضع المأزوم نجد أن السارد يدرج في منامه شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في موكب عظيم إذ يصفه قائلا: "ثم ترتفع الضوضاء، وإذا بموكب عظيم قد أقبل من المقام المحمود كأنهم نجائب من نور يؤمون المشرعة العظمى من الحوض المورد فسألنا عنهم فقليل لنا: هذا سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه، وأهل بيته فنجري خلفه، ونجهد أنفسنا في طلبه فلم نصل إليه من شدة الزحام فطلعنا على تل مشرف من جبل الأعراف نرقبه حتى عبر علينا عن يمينه أبو بكر، وعن يساره عمرا، وبين أيديه أولاده الصغار مع الحسن والحسين وعثمان يقدمهم، ومن ورائه حمزة والعباس وجعفر.... والناس يضحجون بالبكاء ويشيرون إليه بالأيدي، ويستغيثون عليه"³⁵.

إن استحضار المرجعيات الدينية في البنية السردية كشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ذات الطابع الديني المقدس، والحضاري يكشف لنا عن افتقاد نظيرها في زمن الكاتب، هذا الأخير يحاول إضفاء مشروعية المقدس عن طريق إيجاد مجتمع مرجعي أصيل متمثلا في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحبه بدلا من مجتمع سلطوي يمثله الحجاج، وابن مرة، وغيرهم، المفتقد لمعالم الإنسانية، والذي وصفهم السارد قائلا: "وإذا بضجة عظيمة من جانب المحشر، والناس يهرعون إليها مستبشرين فملنا جميعا إليها وإذا بحلقة فسيحة عليها من الأمم ما لا يحصى كلهم يصفقون ويزههون وأربعة في وسطهم يرقصون، ويلعبون إلى أن سمعوا، ووقعوا على الأرض لا ينفسون فسألنا بعض أولئك الحاضرين عن الأربعة الذين يرقصون فقال: أما الثلاثة فعبد الرحمان بن ملجم المرادي، والشمر بن ذي الجوشن الضبابي، والحجاج بن يوسف الثقفي والشيخ الكبير أبو مرة إبليس فجار الخلاق، وهم مجرموا هذه الأمة"³⁶.

فالبحت عن مجتمع بديل هو بحث عن ما يحقق الوحدة، في مجتمع أخلاقي يلتزم به الجميع إنه بحث عن الطهارة في أسمى تجلياتها، وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم طاهر مقدس فمحمد ص "هو الكائن الطاهر بامتياز في نظر الإسلام فقد تم تطهيره عندما كان طفلا، وبعد تطهير محمد إعجازيا على هذا النحو من كل دنس صار مستعدا لتلقي الرسالة النبوية"³⁷. وقد

تجنب السارد وصف شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وصفا مباشرا بالرغم من قدرته على ذلك باستناده على ما وصف به صلى الله عليه وسلم في كتب السيرة، لكنه اكتفى فقط بإحاطته بهالة من نور تزيد من قداسة هذه الشخصية الدينية، المحاطة بالصحابة رضوان الله عنهم.

والتفاف هؤلاء الصحابة حول الرسول صلى الله عليه وسلم هو احتمائهم بهذه الشخصية الفريدة المتميزة فمحمد "ذلك الشخص الرائع الجذاب الشخصية الذي استطاع أن يجتذب إليه الألوف فالملايين من البشر، ويؤسس في حياته دولة جديدة خارقة بمبادئها السامية غيرت مسار التاريخ البشري كله"³⁸.

والسارد يريد أن ينقل لنا من خلاله وصفه البراني لالتفاف الصحابة حول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم افتقاد وغياب ذلك الحس والشعور الجمعي في أبناء أمته.

4. خاتمة:

من خلال ما سبق نستشف أن:

- الوهراني في استحدثاته لفن المناطات استطاع عن طريق ملكة التخيل أن ينسج عوالمها يتجاوز بها رقابة الأنا الأعلى و يعيش بذلك لحظة الانعتاق من سطوته الجائرة .
- فن المناطة عند الوهراني كشف النقاب عن ثنائية المقدس والمدنس، وقام بتعرية المسكوت عنه في مجتمعه بطريقة لا تخلو من الحس الفكاهي حيث أزاح النقاب عن بعض الشخصيات ذات الطابع الديني في المجتمع الدنيوي، لتتكشف في المناطات على أنها شخصيات منحرفة أخلاقي، ودينيا. وبذلك خرجت من منظور القداسة لتعانق في عهر دلالة المدنس.
- أبرز لنا الوهراني السلطة السياسية كطرف مدان في التردّي الاجتماعي والأخلاقي الذي عصف بالمجتمع الإسلامي، حيث قامت بتسخير رجل الدين، ورجال العلم كالأطباء لخدمة سياستها متغافلة عن حقوق المجتمع، وواجهها اتجاهه.
- شخصية الوهراني من خلال تفتيته لقضايا عصره في مناماته بدا شخصية واعية حريصة على قضايا الأمة يحاول أن يلفت انتباه المجتمع من أجل مناشدة التغيير خاصة بعد الفترة التي عاشها في بلاده وهران، وشهد سقوط الدولة المرابطية على يد الموحدين.
- ومنه يتجلى إمكانية فهم المجتمعات بطريقة أعمق من خلال مساءلة الأنساق الثقافية المتخفية تحت رداء جمالية النص والتخيل، وإمكانية الاستفادة من النماذج المتاحة للتجريب مثل المنام الذي يعد من أكثر المعتقدات الإسلامية والعربية انتشارا ورسوخا، والذي عبر عن اللاشعور والشعور في آن واحد لقول ما لا يستطيع البوح به علنا أمام السلطة السياسية والاجتماعية.
- وهذا ما يجعلنا نقر في نهاية هذا البحث بدور الكاتب في معالجة قضايا المجتمع عن طريق فن المناطة وتجلية المسكوت عنه تحت عباءة المقدس والمدنس.

5. قائمة المراجع:

- المؤلفات:
- أبو القاسم حاج حمد، محمد، (2004)، الأزمة الفكرية و الحضارية في الواقع العربي الراهن، بيروت، لبنان، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع.

- باتشي، أكوافيفا وانزو، تر: عناية، عز الدين، (2011)، علم الاجتماع الديني الإشكالات و السياقات"، الإمارات العربية المتحدة، هيئة أبو ظبي للتراث و الثقافة.
- جدعان، فهمي، (2009)، المقدس والحرية أبحاث ومقالات أخرى في أطراف الحداثة ومقاصد التحديث، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- جلال العظم، صادق، (2004)، ما بعد ذهنية التحريم، بيروت، لبنان، دراسات للثقافة والنشر.
- خليل، أحمد، (1996)، فلسفة الاجتماع وعلم الخيال، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني .
- دوقرجيه، مورييس، تر: الأتاسي، جمال، الدروبي، سامي، (2009)، مدخل إلى علم السياسة، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي.
- الرخيلي، محمد، (1991)، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، دمشق سوريا، جمعية الدعوة الإسلامية
- راسل، برتراند، تر: كامل عبد العزيز، فؤاد، (دت)، مثل عليا في السياسة، مصر، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر.
- الزاهي، نور الدين، (2005)، المقدس الإسلامي، الدار البيضاء المغرب، دار توبقال للنشر.
- شلحد، يوسف، (1996)، بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، بيروت لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- شبلي، عبد الله، (دت)، العودة إلى المقدس، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي.
- كايوا، روجيه، تر: سميرة رشا، (دت)، الإنسان والمقدس، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
- مونسي، حبيب، (دت)، نظريات القراءة في النقد المعاصر، وهران، الجزائر، دار الأديب.
- ولعة، صالح، (2010)، المكان ودلالته في رواية مدن الملح، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز، تح: إبراهيم شعلال و محمد نغشي، (1998) "منامات الوهراني ومقاماته و رسائله"، ألمانيا، منشورات الجمل.
- يكن، فتحي، (1975)، الإسلام والجنس، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- المقالات:
- جدعان محمد رشيد، علاء، (2012)، المنامات لون نثري في الأدب العربي، مجلة تكريت العراق، المجلد 19، العدد 7، العراق، ص 323.

الإحالات:

- 1 ولعة، صالح، (2010)، المكان ودلالته في رواية مدن الملح، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص 54.
- 2 جدعان محمد رشيد، علاء، (2012)، المنامات لون نثري في الأدب العربي، مجلة تكريت العراق، المجلد 19، العدد 7، العراق، ص 323.
- 3 جدعان، فهمي، (2009)، المقدس والحرية أبحاث ومقالات أخرى في أطراف الحداثة ومقاصد التحديث، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 22.
- 4 باتشي، أكوافيفا وانزو، تر: عناية، عز الدين، (2011)، علم الاجتماع الديني الإشكالات و السياقات"، الإمارات العربية المتحدة، هيئة أبو ظبي للتراث و الثقافة، ص 82.
- 5 كايوا، روجيه، تر: سميرة رشا، (دت)، الإنسان والمقدس، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 210.
- 6 الزاهي، نور الدين، (2005)، المقدس الإسلامي، الدار البيضاء المغرب، دار توبقال للنشر، ص 27.

- 7 جدعان، فهي، المقدس والحرية، ص23.
- 8 المرجع نفسه، ص22.
- 9 كايوا، روجيه، الإنسان والمقدس، ص65-66.
- 10 ولعة، صالح، المكان ودلالته في رواية مدن الملح، ص54.
- 11 الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز، تج: إبراهيم شعلال و محمد نغشي، (1998) "منامات الوهراني ومقاماته و رسائله"، ألمانيا، منشورات الجمل ، ص23.
- 12 الوهراني، المنامات، ص25.
- 13 خليل، أحمد، (1996)، فلسفة الاجتماع وعلم الخيال، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني، ص245.
- 14 الوهراني، المنامات، ص25.
- 15 شبلي، عبد الله، (دت)، العودة إلى المقدس، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي، ص40.
- 16 سورة الشعراء، الآية 161-173.
- 17 الرخيلي، محمد، (1991)، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، دمشق سوريا، جمعية الدعوة الإسلامية، ص20.
- 18 الوهراني، المنامات، ص26.
- 19 المصدر نفسه، ص29.
- 20 الرخيلي، محمد، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص127.
- 21 مونسي، حبيب، (دت)، نظريات القراءة في النقد المعاصر، وهران، الجزائر، دار الأديب، ص177.
- 22 سورة الحاقة، الآية 32.
- 23 سورة غافر، الآية 71.
- 24 الوهراني، المنامات، ص43-44.
- 25 يكن، فتحي، (1975)، الإسلام والجنس، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ص48.
- 26 المرجع نفسه، ص49.
- 27 الرخيلي، محمد، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص129-130.
- 28 المرجع نفسه، ص76.
- 29 دوقرجيه، موريس، تر: الأتاسي، جمال، الدروبي، سامي، (2009)، مدخل إلى علم السياسة، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ص16.
- 30 راسل، برتراند، تر: كامل عبد العزيز، فؤاد، (دت)، مثل عليا في السياسة، مصر، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ص45.
- 31 الوهراني، المنامات، ص48-49.
- 32 أبو القاسم حاج حمد، محمد، (2004)، الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، بيروت، لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ص294.
- 33 المرجع نفسه، ص294.
- 34 الوهراني، المنامات، ص40-41.
- 35 المصدر نفسه، ص47-48.
- 36 المصدر نفسه، ص35-36.
- 37 شلحد، يوسف، (1996)، بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، بيروت لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص125.
- 38 جلال العظم، صادق، (2004)، ما بعد ذهنية التحريم، بيروت، لبنان، دراسات للثقافة والنشر، ص574.